مقياس: نقد النقد

السنة الثانية ليسانس (دراسات نقدية)

المحاضرة الثانية: نقد النقد (مفهومه، ووظائفه، وأقسامه)

تمهيد:

تردد مصطلح (نقد النقد) في عدد من الخطابات النقدية والتنظيرية خلال العقود الماضية، ودل تردده على إرهاصات ولادة وعي جديد، يسعى إلى التفريق بين (النقد) بصفته موضوعا و(نقد النقد) بصفته فعلا يختبر ذلك الموضوع ويدرسه ولا يقول بوجود تطابق بينهما.

وهذا الوعي ما يزال منذ ذلك الوقت يبحث عن المفهوم المجسد له، ويبحث عن الصيغ النظرية والإجرائية له، وهو حتى الآن ليس سوى مشروع يصعب تحديده وتعريف وظيفته ومقاصده.

وتبعا لذلك لم تخصص مجموعة من الدراسات النقدية تعرف بمصطلح (نقد النقد): سواء تعلق الأمر بماهيته، أو أسسه النظرية، أو أدواته الإجرائية، أو منهجيته المعتمدة في مقاربة النص النقدي؛ إذ لم يهيأ له جهازا نظريا وإجرائيا يوضح البنية المفهومية ويحدد معالمه، وهذا يعني أن (نقد النقد) بحاجة إلى مزيد من الجهود من قبل الدارسين لتأصيله وإرسائه على أسس علمية متينة.

1- نقد النقد: المصطلح والمفهوم:

يظهر استقراء الكتابات حول هذا الموضوع أن مصطلح (نقد النقد) هو المصطلح الأكثر استعمالا عند النقاد والدارسين العرب، وهو ما جاء في ترجمة 'سامي سويدان' لكتاب تودوروف (Critique de la critique)، ونجد مثل هذا الاصطلاح المبني على هذا التركيب اللغوي عند النقاد القدماء مثل 'عبد القاهر الجرجاني' (ت 471هـ) الذي استخدم مصطلح (معنى المعنى)، وقد رأى 'عبد المالك مرتاض' أفضلية هذا المصطلح مجاراة لاستعمال العلماء العرب، واقترح ترجمته إلى (لغة اللغة أو كتابة الكتابة).

واستخدم بعضهم مصطلحات أخرى مثل: (اللغة الناقدة، اللغة الواصفة، الميتا نقد)، ويبدو أن مصطلح 'ميتا نقد' (Métacritique) مصطلح له سمة اصطلاحية واضحة، فهو ليس مجرد إضافة لغوية لكلمة النقد إلى نفسها، ولكنه يعبر عن مستوى من الاشتغال المنهجي والمعرفي المختلف عن النقد الأدبي، كما أنه ليس بعيدا عن حقل اللسانيات وعن مصطلحات مثل: الميتافيزيقا (Métaphysique)، والميتا لغة (Métalangage)...، ولذا فإن هذا المصطلح يعطي لنقد النقد قالبا اصطلاحيا أوضح؛ لأنه يحدد الاختلاف بينه وبين النقد الأدبي الذي يشكل موضوعا له.

- **مفهوم نقد النقد (الميتا نقد):**

نقد النقد في أبسط تعريف له هو معرفة المعرفة؛ معرفة منهجية النقد الأدبي: وسائله، وآليات اشتغاله، وأهدافه وغاياته، ومبادئه وأدواته الإجرائية، وخلفياته المعرفية..

وهو حسب 'جابر عصفور' (قول في النقد أو بحث في النقد)، وعند عبد المالك مرتاض (كتابة الكتابة)، بمعنى أنه كتابة تأويلية تتوخى الغوص في أعماق النصوص النقدية.

ويمكن القول إن نقد النقد؛ نشاط معرفي يتوخى مراجعة الأقوال النقدية بغية اكتشاف مبادئها النظرية، وأدواتها الإجرائية والتفسيرية والتأويلية.

وهو تفكير معرفي وجه أصلا لتتبع النقد الأدبي ومدار حركته، وطرق اشتغاله؛ فهو يحاول كشف معايير القراءة النقدية الأولى وسبر خباياها والوقوف على مبادئها النظرية وأدواتها التحليلية؛ إذ يقوم نقد النقد على تفكيك النص النقدي من أجل إعادته إلى عناصره المشكلة له، وتبين العملية التي أنشئ من خلالها.

2- بين نقد النقد والنقد الأدبي:

يستمد القول باختلاف نقد النقد، واستقلاله عن النقد الأدبي ضرورته العلمية من قاعدة عامة في نشأة وتكون العلوم، وهي قاعدة أساسية ومهمة للغاية، وتنص هذه القاعدة على أن لكل علم أو فرع من فروع المعرفة موضوعا يختص بدراسته، وحين نطبق هذه القاعدة على النقد الأدبي نجد أن موضوعه يتضمن عنصرا واحدا هو دراسة الأعمال الأدبية وطرق تلقيها وتذوقها، أما حين نطبق هذه القاعدة على نقد النقد؛ فسنجد أن موضوعه يتضمن عنصرين مختلفين:

- أولهما النقد الأدبي بمستوييه النظري والتطبيقي.
- وثانيهما الأعمال الأدبية.

وهذا يعني أن موضوع نقد النقد أوسع من موضوع النقد الأدبي، لأن النقد الأدبي نفسه ضمن موضوع نقد النقد.

ويستلزم هذا الفرق الجوهري بالضرورة العلمية على تعزيز فكرة استقلال نقد النقد عن النقد الأدبي، كما يستلزم اختلافه عن النقد الأدبي في آلياته ومصطلحاته وأهدافه، كما يختلفان في الوظيفة؛ فإذا كانت وظيفة النقد الأدبي تكمن في تسليط الضوء على نواحي النص الأدبي والكشف عنها من زوايا متعددة أهمها: الجمالية والمعرفية، فإن وظيفة نقد النقد تبدو متعددة الجوانب بحيث تمس ما هو معرفي وجمالي وقيمي وفلسفي وإيديولوجي وتعليمي كذلك، ومن أهم وظائفه:

- مراجعة وتقويم النقد وتصحيح مساره.
- قراءة النصوص النقدية قراءة مختلفة وبطرق وآليات مختلفة.
- تفكيك مناهج النقد الأدبي للوقوف على خلفياتها المعرفية والفلسفية.
- تتبع عمليات التفكير والتحليل والتأويل عند نقاد الأدب، مع الوقوف عند مدى وضوح الفرضيات وانسجامها مع الفرضيات المسطرة.
- تفكيك مقولات النقد الأدبي لفحص العناصر الإيديولوجية في الطرح النظري.
- فحص وتقييم المناهج النقدية واقتراح البدائل.
- ينتج معرفة بفلسفة النقد وآلياته ومقاصده.

3- أقسام نقد النقد:

ينقسم نقد النقد إلى قسمين: نظري وتطبيقي.

- **نقد النقد النظري:** وهو ذلك الفعل العلمي الحواري الذي يناقش الأسس النظرية للاتجاهات النقدية السائدة، مشككا في جدواها أو في دقتها، ويوجه هذا النمط من نقد النقد نحو هدف اقتراح بدائل للمناهج والنظريات النقدية السائدة، التي تكون موضع الدرس النقدي.

- نقد النقد التطبيقي: وهو الذي يسلط الضوء على نص تطبيقي بعينه، فيقوم بعملية استقراء للنص النقدي التطبيقي مبينا الجوانب الإيجابية والسلبية فيه، بالارتباط مع النص الأدبي الذي درسه النص النقدي.

ويمكن توضيح ذلك كما يأتي:

نقد النقد الأدبي

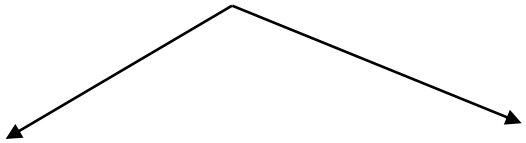

نقد النقد النظري يقوم على:

- مراجعة النقد الأدبي وتصحيح مساره.
- تفكيك المقولات النقدية.
- الوقوف على المفاهيم والمصطلحات النقدية.
- التشكيك في جدوى المناهج.
- التفكير في البدائل.

نقد النقد التطبيقي يقوم على:

- معرفة الرؤية النقدية للناقد.
- معرفة الأدوات الإجرائية.
- معرفة الأدوات الإجرائية المطبقة.
- تحديد طبيعة المتون المدروسة.
- تقويم المسار النقدي.